

## الفصل التاسع

### مظاهر الحياة الاقتصادية

obeyikandi.com

## الفصل التاسع

### مظاهر الحياة الاقتصادية

إن ارتفاع مستوى الفرد وانتعاش الأحوال الاقتصادية يساعد على بناء المجتمع القوي الذي يتسم بالاستقرار والثقة ، فتتوفر الأموال في أيدي الأفراد فيدفعهم ذلك إلى بناء الحضارة الإنسانية حيث يأخذون بأسبابها في شتى مناحي الحياة من مأكّل وملابس، ويضفي ذلك على حياتهم لون من البهجة والمتعة فيتقدمون في الفنون بأنواعها<sup>(١)</sup>.

ويرتبط النشاط الاقتصادي دائماً بحالة الأمن والاستقرار التي تسود البلد ومدى ما يحققه حكام ذلك البلد لرعاياهم من عدالة وبعد عن المغالاة في جمع الأموال وفرض الضرائب والمكوس ، وقد ساعدت سياسة العرب التي اتسمت بالتسامح الديني والعدالة الاجتماعية على انتعاش الحياة الاقتصادية بمصر، حيث شعر المصريون والعرب معا بجو من الطمأنينة يساعد كل من الزارع والصانع والتاجر على الانصراف إلى عمله ومباشرة إنتاجه دون أن يخشى تعسفاً أو ظلماً<sup>(٢)</sup> وتشمل الحياة الاقتصادية الزراعة والصناعة والتجارة.

الزراعة:

أنتى العرب مصر لفتحها ولنشر الدين الإسلامي بها وهم يعلمون بمدى ثروتها وخيراتها الزراعية ، وكثيراً ما أظهروا إعجابهم بتلك الخيرات والنعم التي حظي بها الله مصر، فقد ذكرت مكرمة بهذه النعم في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿... أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>

(١) حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ٣٠٢

(٢) سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ، ص ٦٦

(٣) سورة البقرة : من الآية ٦١ .

ويقال في التوراة : "مصر خزائن الله ، فمن أرادها بسوء قصمه الله" (١)

وكانت الزراعة في مصر على مدى العصور التاريخية بمثابة العمود الفقري للحياة الاقتصادية بما يقدم النيل من طمي يكسب الأرض خصوبة وماء يروي الأراضي الزراعية ربا طبيعيا ، وكانت مصر تقدم من خيراتها للفاتحين المسلمين ما يحتاجون إليه من طعام وعلوفة لخيولهم (٢) .

كما ظلت مصر ترسل الحبوب والقمح إلى مركز الخلافة الإسلامية في الجزيرة العربية ، بل استمرت في إرسالها بعد أن أصبحت مركزا للخلافة الفاطمية (٣) بعد أن فتح المسلمون مصر واستقرت بها العديد من القبائل العربية ، حيث ترك الولاة أرضها في أيدي أهلها وفرضوا عليهم الخراج ، وقد تشدد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نهى العرب عن الزراعة وذلك في قوله: "فلا يزرعون ولا يزارعون" (٤) ، وذلك لكي يستمروا أجنادا على استعداد تام للغزو والجهاد (٥) .

وفي أوائل القرن الثاني الهجري عدلت الخلافة الإسلامية عن تشدها في منع العرب عن العمل بالزراعة ، حيث أخذت تشجع العرب وتسمح لهم بمزاولة الزراعة (٦) ، ثم جاء قرار الخليفة العباسي المعتصم بالله بإسقاط العرب من الديوان ومنع إعطياتهم سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م (٧) ، ليدفع بهم إلى النزوح والانتشار إلى الريف والعمل بالزراعة بجانب المصريين .

زرع العرب والمصريون معا العديد من الحاصلات الزراعية يأتي في مقدمتها القمح ، الذي يعد من أهم الحاصلات الزراعية على الإطلاق لأنه ولا يزال الغذاء الأساسي للأهالي

(١) القلقشندي : صبح ، ج٣ ص ٣٠٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٤ ، ٧٥ محمد أحمد أمين : دراسات اقتصادية ، ص ٥٦

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٥ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٥٢

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ص ١٥٥

(٥) محمد أحمد أمين : دراسات اقتصادية ، ص ٥٠

(٦) الكندي : ولاة مصر ، ص ١٧٥ ، المقرئبي : الخطط ، ج١ ص ١٢٩

(٧) الكندي : ولاة مصر ، ص ١٩٤

وكانت زراعته منتشرة في جميع أنحاء البلاد ، وكان يشغل الجزء الأكبر من الأراضي الخصبة ، وكان الشعير ضمن الحاصلات التي تزرع بكثرة في جميع أنحاء البلاد من أسوان جنوبا حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا<sup>(١)</sup> .

وكان الكتان من الحاصلات التي انتشرت زراعتها في مصر وإن تركزت بكثرة في الدلتا ، وكان يزرع بمصر نوع ممتاز من الكتان ورد ذكره في أوراق البردي العربية ، ومثال ذلك ما ورد في بردية مؤرخة سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م ما نصه "أربعة عشر فدانا أرضا طيبة سوداء من أرض مفطول على أن تزرع قمح وكتان" كما جاء في نفس البردية "من أراضي المتعة تزرع كتان"<sup>(٢)</sup> وذكره السيوطي ضمن زراعات مصر<sup>(٣)</sup> ، وكذلك انتشرت زراعة الفول حيث كان يزرع بكثرة في مصر وورد ذكره أيضا في أوراق البردي العربية<sup>(٤)</sup> ، وكان يزرع مع القمح والشعير ، وهو يلي القمح في الأهمية ويطلق عليه البقول ويعد غذاء أساسيا للإنسان بجانب استخدامه كعلف للحيوانات<sup>(٥)</sup> .

هذا بجانب المحاصيل العديدة منها الصيفي مثل قصب السكر حيث يذكر أن العرب هم الذي نقلوا زراعته لمصر<sup>(٦)</sup> ، ويذكر عن الإمام الشافعي قوله: "لولا قصب السكر ما أقيمت بمصر"<sup>(٧)</sup> ، وكانت زراعته منتشرة في أنحاء مصر وإن كثرت في جنوبها وعلى حافتي النيل وفروعه<sup>(٨)</sup> ، وكانت هناك محاصيل أخرى عديدة ومتنوعة مثل القطن والأرز والسمسم والذيلة والقلقاس واللوبياء والبصل والعدس والبرسيم والجلبان والفجل واللفت والكرنب والمقاتي وغيرها .

(١) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج٢ ص ٤٤ ، ٤٦

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص ٤٦

(٣) جروهمان : أوراق البردي ، ج٢ ، ص ١٠٢

(٤) آدم منتز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ص ٣٠٣ ، ريسلر : الحضارة العربية ، ص ١٠٣

(٥) طه عبد العليم رضوان : في جغرافية العالم الإسلامي ، ص ٥١٤

(٦) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج٢

(٧) ابن ممتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٨ ، راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٧٠

(٨) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٠ ، ٢١

أما عن الفاكهة فقد اشتهرت مصر بإنتاجها الوفير من الفاكهة المختلفة مثل الكروم واللوز والرمان والزيتون<sup>(١)</sup> ، وكان بمصر في وقت واحد من الفاكهة ما هو صيفي أو ربيعي أو شتوي ، حيث وجد بها في يوم واحد النارج والليمون والتفاح والرمان والكمثرى والبطيخ والموز والزيتون والرطب والتمر والعنب<sup>(٢)</sup> ، وانتشرت زراعة البساتين بمصر ويذكر ذلك ابن حوقل بقوله "وبمصر نخيل كثيرة وبساتين واجبة صالحة وزروعهم بماء النيل من حد أسوان إلى حد الإسكندرية"<sup>(٣)</sup> .

ويذكر الإدريسي: "أيضا وعلى حافتي النيل كله معمور بالبساتين والأشجار"<sup>(٤)</sup> وقد شهدت زراعة البساتين عناية بالغة من الولاة وكان الأهالي يخرجون إليها يقضون إجازاتهم حيث يتنزهون ويرحون"<sup>(٥)</sup> .

وكانت البساتين منتشرة في العديد من مدن وقرى مصر المختلفة وبلغت العناية بها إلى درجة كبيرة حيث كانت تنتج الكثير من الفاكهة<sup>(٦)</sup> ، وتميزت الزراعة بمصر أنها كانت تحقق الاكتفاء الذاتي للسكان بل كانت تمد الحرمين الشريفين بالغلal والحبوب وتوسع على سكان الحجاز<sup>(٧)</sup> .

واهتم الحكام المسلمين في مصر خلال عصر الولاة بشئون الزراعة من حيث تحسين الجسور والطرق ومشروعات الري ، وظهر ذلك من خلال بناء مقاييس للنيل ليتعرفوا على ارتفاع النيل نظرا لعلاقته الوثيقة بري الأراضي وتحصيل الخراج<sup>(٨)</sup> ، ولم يكن العرب هم أول من بنوا المقاييس ، فعندما دخلوها وجدوا بها عددا من المقاييس إذ كان هناك مقياس بأهنا. ومقياس بمنف. ومقياس بقصر الشمع.

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ١١٨

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ١٨

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٨

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٣٢٤

(٥) حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ٢٠٦ ، عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٦٥

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٧

(٧) سيده كاشف: عصر الولاة ، ص ١٥٠

(٨) محمد محمدي المناوي : نهر النيل في المكتبة العربية - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٤٧

وتشير المصادر العربية إلى العديد من المقياس التي أنشأت بمصر بعد الفتح الإسلامي لها ، بعضها أنشأها والي عمرو بن العاص مثل مقياس أسوان وندرة<sup>(١)</sup> ، وبعضها من إنشاء معاوية بن أبي سفيان مثل مقياس اسنا الذي ظل مستخدما حتى كانت ولاية عبد العزيز بن مروان وشيد مقياس غيره بطلوان سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م<sup>(٢)</sup> ، كما شيد أسامة بن زيد التنوخي عامل الخراج في خلافة الوليد ابن عبد الملك بن مروان مقياسا كبيرا في جزيرة الروضة سنة ٩٢هـ / ٧١١م وقد أبطل الخليفة سليمان بن عبد الملك العمل به ، فأقام أسامة بن زيد مقياسا آخر سنة ٩٧هـ / ٧١٥م<sup>(٣)</sup> ، ثم بنى المأمون مقياسا بالبشرود<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م أمر الخليفة المتوكل علي الله العباسي بإنشاء مقياس الروضة<sup>(٥)</sup> ، وقد شيده أحمد بن محمد الحاسب<sup>(٦)</sup> في ولاية يزيد بن عبد الله التركي<sup>(٧)</sup> . وكان بلوغ النيل ستة عشر ذراعا يعد مؤشرا بوفاء النهر وإيدانا ببدء الاحتفال الذي اختلف من عصر لآخر ، حيث جرت العادة أن ينادي على زيادة النيل كل يوم منذ أواخر شهر يونيه<sup>(٨)</sup> حتى أمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بإبطال المنادة سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م حتى تصل الزيادة إلى ستة عشر ذراعا ، وذلك منعا لاحتكار الأقوات وتخزينها في حالة عدم الوفاء<sup>(٩)</sup> .

وقد نظم الفلاحون بمصر طرقا لري وزراعة أراضيهم وفقا لفيضان النيل الذي كان يتم بشكل ثابت ويؤكد ذلك المقريري بقوله : "لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد ، وهو هبوط الماء فيها عند بدء

(١) المقريري : الخطط ، ج١ ص ٥٧ ، القلقشندي : صبح ، ج٣ ص ٣٢٧

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، القلقشندي : صبح ، ج٣ ص ٢٩٤

(٣) المقريري : الخطط ، ج١ ص ٥٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، ج٢ ص ٣١٠

(٤) هويدا رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٥٠

(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج٢ ص ١٩٧ ، القلقشندي : صبح ، ج٣ ص ٣٢٧

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص ٤٤١

(٧) المقريري : الخطط ، ج١ ، ص ٥٧ ، فريد شافعي : العمارة العربية ، ج١ ص ٣٩١

(٨) ابن رسته : الأعلام النفيسة ، ص ١١٦

(٩) المقريري : الخطط ، ج١ ص ٦٠

الزراعة لفسد إقليم مصر<sup>(١)</sup> وفي ذلك أيضا يذكر الكندي: "أن النيل كان يزيد بترتيب مما ساعدهم على تنفيذ نظام الري"<sup>(٢)</sup>.

وبالنسبة للملكية الزراعية، فكانت الأراضي الزراعية ملكا للأهالي يحق لهم التصرف فيها بالبيع والشراء والتوريث والهبه<sup>(٣)</sup>.

وكان النظام السائد في توزيع الأراضي هو نظام القبالات، وكان متولي خراج مصر يجلس في جامع عمرو ويكتب ما ينتهي إليه مبالغ الكور على متقيلها من الناس<sup>(٤)</sup>، وكان المتقبلون من الأمراء والأشراف وغيرهم وكانت القبالات تتم لمدة أربعة سنوات حتى تتعادل سنوات المحصول الضعيفة مع المحصول الطيب<sup>(٥)</sup>.

أما عن وحدة المقاييس الزراعية فكان الفدان هو الأساس المعتمد عليه في الضريبة العقارية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحالي<sup>(٦)</sup>، وكانت الوحدة الزراعية هي القبالة وكانت تعرف باسم صاحبها، ثم قسمت الأراضي بعد ذلك إلى أحواض وصار الحوض هو الوحدة الزراعية بدلا من القبالة، وعرف كل حوض باسمه<sup>(٧)</sup>، وكانت الأراضي تقاس بالقصة وبلغ الفدان ٤٠٠ قصة حاكميه<sup>(٨)</sup>.

### الشروة الحيوانية:

قام الفلاحون بمصر بتربية الماشية كالبقر في الصعيد والجاموس بالدلتا<sup>(٩)</sup>، حيث اعتنوا بتربية الأغنام في شتى نواحي البلاد، هذا بجانب تربية الخيل لمكانتها في الغزو

(١) المقرئزي: الخطط، ج١ ص ٦٠

(٢) الكندي: فضائل مصر، ص ٦٣

(٣) محمد رفعت: الحضارة العربية، ص ٩٣

(٤) محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج١ ص ١٧

(٥) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين، ص ٢٧٦، ٢٧٧

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٥٢، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج١ ص ٩٠، ١٠

(٧) المقرئزي: الخطط، ج١ ص ١٠٣

(٨) كانت القصة عبارة عن عود من الغاب طوله ٣٨٥ سم، القلقشندي: صبح، ج٣ ص ٤٤٦، سعاد ماهر:

محافظات مصر ص ٦

(٩) امينة الشوربجي: ص ٢٠٦

والقوة على عدوهم<sup>(١)</sup>، وقد أولى أمير مصر عبد العزيز بن مروان الاهتمام بتربية الحيوانات وادخل السلالات القوية وأخذ الفحلة لتحقيق ذلك<sup>(٢)</sup>.

وازدهرت الثروة الحيوانية خلال العصر الفاطمي، وذلك لما لاقتته من اهتمام الخلفاء بتربية أنواع عديدة من الحيوانات لاستخدامها في أعمال الحرث والزراعة مثل الإبل والأغنام والماشية والماعز والأبقار التي انتشرت تربيتها في منطقة الصعيد للاستفادة منها في مجالات عديدة<sup>(٣)</sup>.

انتشرت تربية الجاموس في مصر وخاصة في الدلتا لعدم تحمله حرارة الجو حيث أتى العرب به من الهند موطنه الأصلي<sup>(٤)</sup>، هذا بجانب تربية البغال والحمير التي كانت منتشرة في شتى أنحاء البلاد وكانت تستخدم في النقل ويذكرها ابن حوقل بقوله: "وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلدان الإسلام والكفر أسير منها ولا أحسن ولا أسمن غير أنها مخطفة الخلق غير عابلة الأبدان ولا رطبة الجسوم، وقد تجلب إلى بعض الأماكن فتتغير وتملاً أبدانها، وهي الغاية في السرعة والسير وحسن المشي والوطأة"<sup>(٥)</sup>.

هذا بجانب تربية أنواع عديدة من الطيور يأتي في مقدمتها الدجاج والحمائم<sup>(٦)</sup> وقد عرفت مصر نظام تربية الدواجن متبعة نظام الحضانات الخاصة، حيث يتم التفريخ بطريقة الترقيد الصناعي في معامل كالتنانير، وتخرج الفراريخ من البيض بكميات كبيرة، ويذكر المقرئبي: "أن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى لإنتاج الفراريخ في مصر الإسلامية"<sup>(٧)</sup>، وكانت معامل تفريخ البيض منتشرة في أنحاء مصر، وزاد اهتمام

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنبي: كتاب الخليل ص ١٠٧

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح ص ١٤٥، القلقشندي: صبح، ج ٣ ص ٣٤٦

(٣) راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية، ص ٧٥

(٤) آدم منتز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٣٤٦

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٥١، ١٥٢

(٦) ابن اياس: بدائع الزهور، ج ١ ص ٥، القلقشندي: صبح، ج ٣ ص ٣٤٧

(٧) المقرئبي: الخطط، ج ١

الفاطميين بها وشجعوا على انتشارها للحصول على الكميات الكافية من الدواجن لموائد قصورهم ، ومطابخهم ، حيث كان الدجاج من الوجبات الرئيسية في الأسطة<sup>(١)</sup>.

### تربية النحل :

عرف عسل النحل بمصر منذ أقدم العصور ، وكان لعسل النحل المصري شهرة كبيرة ، وقد اعجب الرسول ﷺ بالعسل الذي أهدي إليه من المقوقس حاكم مصر ، وبارك فيه ، وبعد الفتح الإسلامي لمصر كان العسل يدخل ضمن ما يدفعه الأقباط المصريون من جزية ، وقد اهتم المسلمون خلال عصر الولاة بتشجيع إقامة المناحل ، وكذلك خلال العصرين الطولوني والإخشيدي ، وقد اشتهرت مدينة بنها خلال العصر الإسلامي ببيعها العسل<sup>(٢)</sup> .

وخلال العصر الفاطمي كانت تربية النحل واستخراج العسل من الأعمال التي مارسها الكثيرون في مختلف أنحاء القطر ، وخاصة الأماكن التي تجود فيها زراعة الأزهار ، وكانت أكبر مراكز إنتاجه الفيوم ، وضواحي الفسطاط ، وقلية لوفرة البساتين بها ، وكان قطف العسل من النحل يبدأ في شهر برمودة ، ويستمر في بؤنه ، واخيرا تقطف بقاياها في أبيب<sup>(٣)</sup>.

وكان الطلب على العسل شديدا خلال العصر الفاطمي ، وذلك لاحتياج الحكومة لكميات وفيرة منه لاستخدامه في صنع الحلوى في المناسبات المختلفة<sup>(٤)</sup> .

(١) البغدادي : الإفادة ، ص ٨٠

(٢) أمينة الشوربجي : رؤية الرحلة ، ص ٢١١

(٣) ابن مماتي : القوانين ، ص ١٦٥

(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٧٧

## الصناعة

اشتهرت مصر بجانب إنتاجها الزراعي بالعديد من الصناعات الهامة مثل صناعة النسيج والزجاج والبلور، وصناعة الورق البردي، والصناعات الخشبية والمعدنية، وصناعة الفسيفساء، والصناعات الغذائية، وعمل الحصير وغيرها.

وكان المصريون عماد الصناعات كلها سواء من أسلم منهم أو من بقي على دينه، وقلما اشتغل العرب بالصناعة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين نظرا لأنهم احتفظوا خلال هذه الفترة بالأعمال الإدارية وشئون الحرب، واستمر ذلك حتى عهد الخليفة المعتصم بالله عندما أسقط العرب من الديوان ومنعهم العطاء مما جعل العديد منهم يمارسون الصناعة كمورد للرزق<sup>(١)</sup>، وعملوا جنبا إلى جنب مع المصريين مما زاد من تقدم الصناعات في مصر وبرعوا في كافة الصناعات.

### صناعة المنسوجات:

كانت مصر بإجماع المؤرخين والرحالة الذين زاروها خلال عصر الولاة ذات شأن عظيم في صناعة المنسوجات<sup>(٢)</sup>، حيث كانت منسوجاتها موضع تقدير في الدقة والروعة بعد أن أضحى عليها المسلمون ما يناسب دينهم الإسلامي<sup>(٣)</sup>، وبلغت صناعة النسيج تحت ظل العرب المسلمين درجة من الكمال إذ حرص الخلفاء والولاة أمويون وعباسيون وفاطميون أن يضمنوا لمصر احتكار نسج كسوة الكعبة المشرفة مما ساعد على تطور هذه الصناعة<sup>(٤)</sup>.

وكانت مصانع النسيج ودور الطراز سواء العامة أو الخاصة منتشرة في شتى المدن، حيث اشتهرت كل مدينة بإنتاج منسوجات تنسب إليها، فقد اشتهرت الإسكندرية

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة، ص ١٥٧، راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية، ص ١٣٦  
(٢) الكندي: فضائل مصر، ص ٦٧، ٦٨، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٥٢، ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٩٤، ٩٢

(٣) سعاد ماهر: النسيج الإسلامي، ص ٧

(٤) زكي محمد حسن: بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية، ص ١١

بإنتاج القصب الذي تصنع منه العمامم وملابس النساء<sup>(١)</sup>، وكذلك الشرب من الكتان<sup>(٢)</sup>، والديبق والبقلمون<sup>(٣)</sup>، بجانب إنتاج المنسوجات الصوفية والمنسوجات الحريرية<sup>(٤)</sup>، واشتهرت دمياط وديبق بإنتاج المنسوجات بشتى أنواعها حيث كانت تنتج الثياب المصقلة والعمامم والشرب الملونة والمنسوجات التي كان يطلق عليها ديبقي<sup>(٥)</sup> وشطا ودميرة وتونة التي كان يصنع بها كسوة الكعبة<sup>(٦)</sup>.

وفي الوجه القبلي اشتهرت البهنسا التي كانت تنسج بها الستور المعروفة بالبهنسية، وقد كان من فضائل مصر طراز البهنسا من الستور والمضارب مما يفوقون به طرز أهل الدنيا<sup>(٧)</sup>، والأشموين التي كانت تنتج المنسوجات وتصنع الثياب وتصدرها إلى مدينة الفسطاط وتباع بأسواقها<sup>(٨)</sup>، وأنتجت أسيوط المنسوجات الكتانية والصوفية بجانب الثياب الثقيلة والدقيقة وكانت تصدر من أسيوط إلى خارج مصر، كما أنتجت نوعا من المفروشات الأرمينية التي تشبه القرمز والمفروشات الأرمينية من حيث الجودة والدقة<sup>(٩)</sup>، ومدينة شطا التي كانت مشتهرة بصناعة النسيج الشوطي، وكان يعمل بها من الثياب القصب وكسوة الكعبة<sup>(١٠)</sup>.

واشتهرت مدينة أخميم بإنتاج العديد من المنسوجات الحريرية وكانت مشهورة بعمل الملاءات القطنية والحريرية<sup>(١١)</sup>، وأيضاً يعمل بها المفروشات القطوع الأخميمية، ومدينة قوص. إحدى مدن محافظة قنا. كانت ضمن المدن الشهيرة بإنتاج المنسوجات

(١) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٣٥

(٢) حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ٢١١

(٣) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٣٨

(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٣٥ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٦٢ ، سالم : تاريخ الإسكندرية

ص ٢٠٨ ، عطية القوصي : تجارة البحر الأحمر ، ص ٢١٩

(٥) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٢٦

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٦٢

(٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٣١

(٨) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٣٨

(٩) البلاذري : فتوح البلدان ، ج ٣ ص ٦٨١ ، القزويني : آثار البلاد ، ص ١٤٧

(١٠) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٦٢

(١١) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٦٣

الكتانية والقطنية والحريرية وكانت تباع في جوانب المدينة<sup>(١)</sup> ، ومدينة أسوان راجت بها صناعة الحبال من الصوف والقطن وصنعت بها القطع النسيجية التي كانت تلف أجساد الموتى من الكتان<sup>(٢)</sup> .  
صناعة الأصباغ :

ومن الصناعات المرتبطة بالنسيج صناعة الأصباغ ، حيث استخدم المصريون والعرب أجود أنواع الصبغة من مواد الصباغة الطبيعية سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية مثل الكركم ، وقشر الرمان ، والحناء والنيلة ، والشب<sup>(٣)</sup> وكانت الألوان ضرورية في كثير من الأحيان .

وقد أمكن الحصول على اللون الأحمر من مادة اللعلى التي جلبها العرب من الهند والقرمز من بلاد أرمينية<sup>(٤)</sup> ، واشتهرت مدينة أخميم باستخلاص العصارة الحمراء من نبات السلجم الذي كان ينمو بالقرب منها ، وكانوا يستخرجون اللون الأحمر أيضا من معدن الزرنيخ الأحمر والزنجر الرماني<sup>(٥)</sup> ، أما اللون الأزرق فكان يستخرج من شجرة النيلة وكان متوفرا بمصر<sup>(٦)</sup> وكانت الشبة تستخدم في تثبيت الألوان<sup>(٧)</sup> ، وكان الزعفران والعصفر والكركم يستخدم للحصول على اللون الأصفر<sup>(٨)</sup> .  
صناعة الحصير :

كانت صناعة الحصير صناعة يدوية وتقوم على نبات البوص أو السمار أو سعف النخيل الجدول بحبال القنب أو نبات البردي والحلفا ، والألياف الكتانية وقش الأرز<sup>(٩)</sup> ،

(١) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر ، ص ٢٧٥، ٢٧٤

(٢) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة ، ص ٢٨١

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٧

(٤) الاضطخري : المسالك والممالك ، ص ١١٠

(٥) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٤١

(٦) المقرئبي : الخطط ، ج ١ ص ٢٧٢

(٧) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٨

(٨) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٤٣

(٩) سعد ماهر : النسيج الإسلامي ، ص ١٣٥ ، سعد ماهر : الحصير ، ص ٢٦، ٢٥

وكان استعمال الحصير مهما لفرش المساجد والمدارس والكتاتيب والدور السكنية ، كما أستعمل نوع من الحصير السميك في تغطية جثث الموتى أو فوق توابيت الموتى بجانب تغطية الوسائد والأرائك<sup>(١)</sup> .

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الحصير مدينة الإسكندرية التي كان بها مناسج للحصر الساماني والعبداني<sup>(٢)</sup> ، كما كانت القسطاط من المدن الشهيرة بصناعة الحصير وكان بها تسعمائة منسج للحصير<sup>(٣)</sup> ، كما اشتهرت مدينة منوف والفيوم وكذلك أدفو ، وأرمنت وكل من أسيوط وأخميم والبهنسا والأشمونيين<sup>(٤)</sup> .

صناعة الفخار والزجاج :

اشتهرت مصر من قديم الزمان بصناعة الأواني الفخارية ، وذلك لسد حاجتها المحلية واستمرت هذه الصناعة في ظل الحكم الإسلامي وظلت البلاد تنتج الأواني الفخارية مثل المسارج<sup>(٥)</sup> ، كما صنعت من الفخار القوارير التي كانت تستخدم للإضاءة أو الزينة وصنع للوزن ، بجانب استخدامها في حمل ماء زمزم أثناء عودة الحجاج<sup>(٦)</sup> ، بجانب صناعة القلل الفخارية<sup>(٧)</sup> .

وصنعت من الفخار الأواني والأوعية لحفظ الخل والعسل والنبيد بجانب صناعة الأنابيب الفخارية لاستخدامها في توزيع المياه داخل الدور والمنازل في المدن المصرية ، وقد بلغ من انتشار صناعة الفخار أن الفخاريين كانوا يصنعون مجموعات من لعب الأطفال بأشكال العرائس والفرسان والحيوانات<sup>(٨)</sup> ، وصنعت من الفخار بعض أدوات المكاييل

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢ ص ١٨٤ ، سعاد ماهر : الحصير ، ص ١٣ ، ٨٩

(٢) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٢٨ ، عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ٥٢٩

(٣) اليعقوبي : الإفادة ، ص ٥٧

(٤) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٧٦

(٥) كانت المسارج عبارة عن أشكال بيضاوية أو مستطيلة تركز على أرجل صغيرة استخدمت للإضاءة ، عيد أبو

زيد : أحوال المجتمع في حواضر مصر ، ص ١٩١

(٦) عبد العزيز مرزوق : الحياة الفنية في مصر الإسلامية ، ص ٦٠١

(٧) زكي محمد حسن : الفنون ، ج١ ص ٦٦

(٨) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ١١١ ، ١١٢

والأختام<sup>(١)</sup>، وقوارير النفط الفخارية من عجينه سميكة على أشكال مختلفة في بعض أجزائها بروز حتى يسهل مسكها<sup>(٢)</sup>.

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الفخار الإسكندرية والأقصر ومدينة قنا وقوص<sup>(٣)</sup>

### صناعة الزجاج:

استمرت صناعة الزجاج في مصر كما كانت عليه قبل الفتح، حيث وجدت الرمال الجيدة التي استخدمت في الصناعات الزجاجية بالقرب من الإسكندرية وأرمنت وسقارة، وأنتجت البلاد الكثير من الألوان والقوارير والكؤوس والأكواب والأطباق والزهريرات والدوارق للاستعمال المنزلي أو لحفظ الزيوت والعطور، والأختام والمصاييح مخروطية الشكل<sup>(٤)</sup>، هذا بجانب إنتاج المصاييح والقناديل وألواح الزجاج والشمسيات<sup>(٥)</sup>.

ومن المدن التي اشتهرت بالمنتجات الزجاجية الإسكندرية والبهنسا والفيوم والأشمونيين<sup>(٦)</sup>، وكانت الفسطاط من أهم مراكز صناعة الزجاج واستمرت حتى أواخر القرن السابع الهجري<sup>(٧)</sup>.

### صناعة الورق:

قامت صناعة القراطيس في مصر على نبات البردي الذي كان ينمو بكثرة حول مستنقعات الدلتا والفيوم<sup>(٨)</sup>، وذكر المقرئ أن البردي كان ينمو في صعيد مصر<sup>(٩)</sup>، وكثير استخدام البردي في الدولة الإسلامية ويذكر ابن الفقيه. من علماء القرن الثالث الهجري. أنه كان لأهل مصر القراطيس التي لا يشاركون فيها أحد<sup>(١٠)</sup>.

(١) عبد محمد على : أحوال المجتمع في حواضر مصر ، ص ١٩١ ، ١٩٢

(٢) زكي محمد حسن : كتوز الفاطميين ، ص ١٧٣

(٣) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ١١٣

(٤) ديماندا : الفنون الإسلامية ، ص ٢٣ ، عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص ٢٢٧

(٥) ديماندا : الفنون الإسلامية ، ص ٢٤ ، نعمت إسماعيل علام : الفنون الإسلامية ، ص ٢٥١

(٦) زكي محمد حسن : أطلس الفنون ، ص ٢٥١ ، أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ص ٢٧٢

(٧) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٣٦ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ص ٣٤٢

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٦ ، محمد دراز : نباتات مصر ، القاهرة ، ج ١ ص ٢،٣

(٩) المقرئ : الخطط ، ج ١ ص ٤٣

(١٠) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٦٦

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الورق من البردي مدينة الإسكندرية<sup>(١)</sup> ومدينة بورة<sup>(٢)</sup> ، ومن مراكز هذه الصناعة أيضا أسوان وأوسيم<sup>(٣)</sup> .

وكان الصناع المصريون يجيدون عمل أنواع البردي منه ما نعم وغلا ثمه وما خشن ورخص وقيل أن المصانع المصرية كانت تنتج سبعة أصناف من ورق البردي<sup>(٤)</sup> ، وظلت مراكز الصناعات تنتج من القراطيس أو الطوامير طيلة ثلاث قرون بعد الهجرة ، وكان الصناع يعملون منها ما يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وأكثر<sup>(٥)</sup> .

وتعرضت صناعة البردي إلى التدهور والاضمحلال وذلك خلال العصر الإخشيدى ، حيث ظهرت صناعة الورق في مصر سنة ٣٠١هـ/٩١٣م وحلت محل ورق البردي<sup>(٦)</sup> ، كما أحل الكاغد الذي يصنع في سمرقند والصين وبعض مدن الشام محل البردي<sup>(٧)</sup> ، وكان يصنع من الكتان ، وكانت قراطيس سمرقند لأهل المشرق وقراطيس مصر لأهل المغرب<sup>(٨)</sup> ، وانتشر الكاغد في مصر خلال القرن الرابع الهجري وكان بالفسطاط سوق كبير للوراقين<sup>(٩)</sup> ، ومن مراكز صناعة الورق في مصر مدينة أسيوط بالصعيد ، وكذلك كان بالإسكندرية مصانع للورق<sup>(١٠)</sup> .

### الصناعات الغذائية:

احتلت الصناعات الغذائية مكانتها بين الصناعات الأخرى ، وتميزت مصر بوفرة خيراتها وكثرة إنتاجها الزراعي والحيواني مما ساعدها كثيرا في قيام العديد من هذه الصناعات ، ويذكر المقرئ في مصر بقوله "فأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ، لإستغني أهلها بما فيها عن جميع الأرض"<sup>(١١)</sup> .

(١) صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص ١٩٤

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٣٨

(٣) محمد الكندي : فضائل مصر ، ص ٢٣ ، ابن ظهير : الفضائل الباهرة ، ص ٥٦

(٤) أرشيبالد لويس : دراسات إسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ ، آدم متر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٣٦

(٥) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٩١

(٦) أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٥٧

(٧) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٣٨

(٨) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢١

(٩) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٣٠

(١٠) هويدا رمضان : المجتمع ، ص ١٧٨

(١١) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٨

ويأتي في مقدمة الصناعات الغذائية صناعة السكر والعسل وقد اعتمدت هذه الصناعة على قصب السكر الذي كان يمثل العمود الفقري لهذه الصناعة ، وقد أدخل العرب هذه الصناعة إلى مصر بعد الفتح الإسلامي بعد أن عرفوها من شرق آسيا<sup>(١)</sup> ، وكانت زراعة قصب السكر منتشرة في مصر كما ذكرنا ، وقد زرعه قره بن شريك والي مصر في عهد الوليد بن عبد الملك (٩٠-٩٦هـ/٧٠٨-٧١٤م) في بركة الحبش بعد استصلاحها<sup>(٢)</sup> . وكانت صناعة العسل واسعة الانتشار في المناطق التي اشتهرت بزراعة القصب<sup>(٣)</sup> ، أما صناعة السكر<sup>(٤)</sup> فقد كانت منتشرة في مناطق عديدة حيث كانت له مصانع خاصة أطلق عليها المسابك أو المطابخ ، ولم تقتصر صناعة السكر الأحمر على مناطق إنتاج القصب وإنما اشتهرت بعض المدن الكبرى بمطابخ السكر مثل الفسطاط ، كما اشتهرت بصناعة السكر مدينة أسيوط التي كان بها سائر أنواع السكر ومنها كان يحمل إلى جميع الدنيا<sup>(٥)</sup> ، ويذكر الأدفوي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م أن مدينة قوص كانت أكثر بلاد الله قصباً ومنها يجلب السكر إلى بلاد مصر والحجاز والحبشة<sup>(٦)</sup> ، وأضاف أن فقط كان بها أربعون مسبكا للسكر<sup>(٧)</sup> .

وكانت ترنوط - إحدى قرى غرب الدلتا- من أهم مراكز صناعة السكر في مصر خلال العصر الإسلامي ويذكرها ياقوت الحموي بقوله : "وبها معاصر للسكر"<sup>(٨)</sup> ، واشتهرت رشيد بصناعة السكر وكان يجلب منها إلى جميع الممالك<sup>(٩)</sup> .

(١) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٠٨

(٢) الكندي : الولاة ، ص ٦٥

(٣) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٨

(٤) صناعة السكر: فكانوا إذا حل شهر هاتور بدعوا في جمع القصب للمعاصر وتجميع الايتان وترتيب العمال لعمل القصب حزم وتجهيز الأمطار وهو ما يستخدم في وزن السوائل وفي شهر كيهك كان العمال يعصرون القصب بالمعاصر الخاصة حيث كان يوجد بها أحجار خاصة لأعتصارها ، وكان يوجد في كل معصرة ما بين حجر أو أربعة حجارة وتدار بالماء أو الأبقار أو بالأنفار ، النابلسي: تاريخ الفيوم، ص ٧٠ ، ابن ماتي: قوانين الدواوين، ص ٢٤

(٥) القزويني : أثار البلاد، ص ٤٧

(٦) الإدفوي : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، القاهرة ١٩١٤م ، ص ٨ ، ٤٤

(٧) الإدفوي : الطالع السعيد ، ص ٢٨

(٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨

(٩) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص ١٢٧

ومن مراكز هذه الصناعة أيضا الفيوم ، حيث كان بها معاصر ومطابخ للسكر بجهة سنورس ، وكانت مدينة ملوي تضم عدة أحجار لاعتصار القصب ، وأيضا مدينة سمسطا التي كانت تقع بالقرب من البهنسا والأشمونيين وسمهود ، ويدل على كثرة إنتاج العسل والسكر في مصر قول الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر خلال العصر الفاطمي "أن مصر تنتج عسلا وسكرا كثيرا"<sup>(١)</sup>.

### صناعة الخمر :

كانت صناعة الخمر منتشرة في مصر بعد الفتح الإسلامي لها، هذا وقد تم تحريم الخمر في القرآن الكريم في، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد انتشرت حانات الخمر في الفسطاط وفي الأديرة ويدل على ذلك أوامر الولاة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين بإغلاقها ، فعلى سبيل المثال أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز رسائل إلى أهل الأمصار يأمرهم فيها بترك الشراب ، فأرسل إلى عامله على مصر - أيوب بن شرحبيل ( ٩٩ - ١٠٦ هـ / ٧١٧ - ٧٢٤ م ) ولأهل مصر في النهي عن الخمر فحرمت وكسرت آلاتها وعطلت حاناتها<sup>(٣)</sup> ، وفي ولاية على بن سليمان على مصر (١٦٩ - ١٧١ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٧ م ) أمر بإغلاق الملاهي ومنع بيع الخمر<sup>(٤)</sup>.

وكانت الأديرة المنتشرة بمصر مركزا من مراكز صنع الأنبيذة من الكروم<sup>(٥)</sup> مثل دير القصير، ودير نهيا ودير مرجنا<sup>(٦)</sup> ، وكان يجتمع في قاعات شراب الأديرة وبساتينها أهل البطلان واللهو وكان بعض الأمراء يعقدون مجالس الشراب واللهو بالأديرة ، ومثال لذلك خمارويه الذي أمر أن يبني له في أعلى دير القصير طبقة لها أربع طاقات على الجهات الأربع<sup>(٧)</sup>.

(١) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧

(٢) سورة المائدة: من الآية ٩٠

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٦٨ ، أبو المحاسن : النجوم ، ج ١ ص ٢٣٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٢ ص ٦٢ ، ١٣٢

(٥) حبيب زيات : الدارات النصرانية في الإسلام ، بيروت ١٩٣٨ ، ص ٣٥

(٦) صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص ٢١٦

(٧) أبو صالح الأرمني : كنائس مصر وأديرتها ، ص ٢٦١

واشتهرت بصناعة الخمر مريوط والجيزة وقلوب والفيوم ، حيث كان ينمو بها الكروم بكثرة وكان النصارى هم القائمين على هذه الصناعة<sup>(١)</sup> .

ومن المواد الغذائية شراب العسل . الفقاع . كان يعرف باسم الشراب العسلي أو نبيذ العسل وكان لا يعمل إلا بمصر<sup>(٢)</sup> ، واشتهرت بصناعته شبرا الخيمة ودمنهور<sup>(٣)</sup> ، وكان شراب المزر (البوظة) من شراب العوام في مصر ، وكان يتخذ من القمح<sup>(٤)</sup> ، واشتهر بصناعته أهل السودان الذين كانوا يقيمون في مصر<sup>(٥)</sup> .

### صناعة الزيوت والصابون والشمع :

كانت أنواع الزيوت الجيدة تأتي البلاد الإسلامية من الشام وشمال أفريقية<sup>(٦)</sup> هذا بجانب النتاج المحلى حيث اشتهرت بعض المدن المصرية باستخراج الزيوت من بذور اللفت والفجل والسلجم والخس والقرطم والحنظل ، بالإضافة إلى ذلك استخراجها من الزيتون ، حيث كان يستخرج منه زيت رخيص يستخدم في الطعام والإضاءة<sup>(٧)</sup> .

وكان من أهم أنواع الزيت ما كان يستخرج من السمسم وكان يعرف باسم الشيرج وكان مرتفع الثمن ، وعلى الرغم من قلة السمسم فإن زيتته كان غزيرا<sup>(٨)</sup> .

وقد اشتهرت العديد من المدن باستخراج الزيوت يأتي في مقدمتها مدينة الفسطاط وما حولها ، حيث يذكر ابن دقماق : "إن هذه الصناعة قامت بدرب المعاصر بالفسطاط"<sup>(٩)</sup> ، كما أضاف أنه كان بكل من شبرا الخيمة وقلوب معاصر سيرج<sup>(١٠)</sup> ،

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص ١٩٧ ، المقرئزي : الخطط ، ج ٢ ص ١٣٠

(٢) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ج ١ ص ٢٠ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣

(٣) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ج ١ ص ٢٠ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣ ، ياقوت : معجم البلدان ،

ج ١ ص ٦١

(٤) البغدادي : الإفادة ، ص ٤٣

(٥) خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٩

(٦) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٨٠

(٧) جروهمان : أوراق البردي ، ج ٥ ص ٥٢ ، ٥٣ ، أبو المحاسن : النجوم ، ج ٥ ص ١٢٢

(٨) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٩

(٩) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ٤٦ ، ٤٨

(١٠) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ص ٤٧ ، ٤٨

وكان زيت الفجل في مدينة سخا<sup>(١)</sup>، وكانت سندفا- إحدى مدن المحلة . من أهم مراكز عمل الزيت حيث كان بها سوق زيت حسن<sup>(٢)</sup>، كما اشتهرت ترنوط . إحدى قرى غرب الدلتا بمعاصر الزيوت<sup>(٣)</sup>، وكانت أهم معاصر الزيت بالبهنسا، وفي مدينة الفيوم<sup>(٤)</sup> .  
صناعة الصابون :

قامت صناعة الصابون على الزيوت المستخرجة من بذور النباتات ، هذا بجانب أن العرب كانوا يصنعونه بمزج الصودا بشحم الأغنام أو الزيت<sup>(٥)</sup>، ويذكر الإدريسي مدينة قفط أنه كان بها مزارع كثيرة للبقول مثل اللفت والخس ، فكانوا يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون أدهانها ويصنعون منها أواني من الصابون يتصرفون به في جميع أرض مصر، ومنها يتجهز إلى كل الجهات<sup>(٦)</sup> .

وكان بمدينة الفسطاط والإسكندرية مطابخ للصابون ويذكر البغدادي أن صابونه أحمر وأصفر وأخضر<sup>(٧)</sup> .  
صناعة الشمع :

اشتهرت مصر بصناعة الشمع على اختلاف أحجامه بما فيه الصغير يحمله الأطفال وكبير تزن الواحدة منه بضعة أرطال<sup>(٨)</sup>، ويذكر ابن زهير: "أن بمصر الشمع الذي يفضل شمع الدنيا"<sup>(٩)</sup>، وكان الشمع يستخدم في الإضاءة داخل المساجد ، والقصور ، والمنازل ، وكذلك في الطرقات والحوانيت<sup>(١٠)</sup> .

وقد ارتبطت صناعة الشمع بتربية النحل ، وكان صالح بن علي والي مصر سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠م هو أول من اتخذ الشموع الكبيرة ، وكان للمصريين مهارة كبيرة في عمل

(١) ابن حوقل : سورة الأرض ، ص ١٣١

(٢) المقرئزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٤٦٢

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ص ٢٧

(٤) أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٢٨

(٥) عطية القوسي : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٤ ، راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٨٢ ، ٣٨٢

(٦) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٤٨ ، ٤٩

(٧) البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ص ٤٢

(٨) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص ٤٦٥ ، ٤٩١

(٩) ابن زهير : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣

(١٠) أبو المحاسن : النجوم ، ج٥ ص ١٢٢

الشمع حيث كانوا يستخلصونه من خلايا النحل<sup>(١)</sup>، وكانت الإسكندرية أكبر مراكز صناعة الشمع في مصر الإسلامية<sup>(٢)</sup>، حيث توفرت بها مقومات صناعته من مواد خام بجانب رطوبة الجو الذي يؤثر في تماسك المواد المصنوعة منها الشمع<sup>(٣)</sup>، هذا بجانب انتشار صناعته في دمياط وتينيس فضلا عن القسطاط<sup>(٤)</sup>.

### صناعة الروائح العطرية :

اشتهرت مصر أيضا بالزيوت العطرية التي كانت تستخرج من الأزهار لصناعة الروائح من الياسمين والبنفسج، وكان زيت الياسمين من العطور المشهورة، وكان من أهم أنواع هذه الزهور النرجس والورد والياسمين وغيرها وكانت الفيوم مركزا لاستخراج ماء الورد<sup>(٥)</sup>، كما كان يستخرج بمصر زيت يعرف بزيت الخردل يفيد في علاج بعض الأمراض<sup>(٦)</sup>

### الصناعات الخشبية:

برع المصريون خلال العصر الإسلامي في العديد من المصنوعات الخشبية وذلك بالرغم من قلة الأخشاب في مصر، وكانوا يستوردون من البلاد المجاورة ما يلزمهم من خشب الأرز والصنوبر والأبنوس والساج وغيرها<sup>(٧)</sup>.

وكان يوجد بمصر من الأخشاب المحلية ما يصلح لأعمال النجارة البسيطة مثل شجر الجميز والتوت والسنط والبندق والزيتون والسرو والنخيل والأثل<sup>(٨)</sup>

وهذه الأخشاب منها المستورد ومنها المحلي، وأنتجت مصر العديد من المصنوعات الخشبية، يأتي في مقدمتها صناعة السفن بأنواعها المختلفة، وصناعة أثاث المنازل من

(١) أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٤٢

(٢) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٨٢

(٣) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٥

(٤) ابن الكندي : فضائل مصر ، ص ٦٩

(٥) صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص ٢١٣

(٦) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٣ ، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ، ج ٢ ص ٣٥

(٧) زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص ٦٣ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٦٨

(٨) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٧٠ ، دم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ص ٩٣

دواليب وموائد وكراسي وسراير وعمل سقوف البيوت والأبواب والنوافذ<sup>(١)</sup>، وكذلك صناعة محاريب الجوامع والمساجد والمنابر وربط القوائم بعضها ببعض، وعمل القباب وتدعيمها<sup>(٢)</sup>.

هذا بجانب صناعة أدوات الطهي مثل القدور وأدوات المائدة من خشب الخنج والجنز<sup>(٣)</sup>، وكذلك عمل السواقي وآلات رفع المياه، والمحاريت والطواحين والمعاصر، والأنوال المستخدمة في عمل النسيج والحصير<sup>(٤)</sup>، وأيضا صناعة المكايل المستخدمة تقدير المحاصيل الزراعية<sup>(٥)</sup>، وكانت هذه الصناعات منتشرة في شتى أنحاء البلاد بمصر خلال العصر الإسلامي.  
الصناعات المعدنية:

اشتهرت مصر بالصناعات المعدنية قبل الفتح الإسلامي وظلت صناعات المعادن قاعدة لمصر بعد الفتح، وقد استخدمت الصناعات القائمة على خام الحديد أساسا لاحتياجات الأهالي من المصنوعات البسيطة إلى جانب بعض آلات الحرب كالسهام والسيوف والرماح والبلطة.

وكان الحديد يستخدم في عمل السروج ولجم الخيل والخود<sup>(٦)</sup>، وقد اشتهرت مدينة دلاص بصناعة اللجام الدلاصية<sup>(٧)</sup>، ويذكر الإدريسي ت سنة ٥٦٠ هـ "أنه كان بدلاص ثلاثائة حداد يعملون هذه اللجم"<sup>(٨)</sup>، وكان بالقاهرة سوق يسمى سوق اللجمين<sup>(٩)</sup>.

(١) أبو المحاسن : النجوم ، ج٣ ص ١٦ ، المقرئزي : الخطط ، ج١ ص ٣١٥

(٢) ابن دقماق : الانتصار ، ج٥ ص ٦٢ ، ٦٣

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٦٩

(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٧

(٥) المسيحي : أخبار مصر ، ص ٢١٣ ، المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ج١ ص ٢١٨

(٦) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٣

(٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٢٣١ ، أبو صالح الأرمني : تاريخه ، ص ١١٦

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٥١

(٩) المقرئزي : الخطط ، ج٢ ص ٩٨

ومن الصناعات المعدنية صناعات الذهب والفضة حيث صناعة الحلبي والأساور والقلائد وغيرها ، بجانب استخدام الذهب والفضة في تزيين السروج والسيوف والمصاحف وتزيين الملابس والعمائم<sup>(١)</sup> .

وتمثلت الصناعات المعدنية أيضا في صنع بعض الآلات الزراعية البسيطة مثل المنجل والفأس والسواقي والمحراث بجانب استخدامه في صنع المكايل<sup>(٢)</sup> ، ومن المعادن أيضا صنعت بعض أدوات الترف مثل المباخر<sup>(٣)</sup> واستخدام الحديد في عملية بناء السفن<sup>(٤)</sup> .

وكانت صناعة التكفيت<sup>(٥)</sup> من الصناعات المعدنية الرائجة ، حيث كان للنحاس المكفت رغبة عظيمة فلا تكاد تخلو دار في مصر من بعض قطع النحاس المكفته ، حيث كان لازما وجود دكة تشبه السرير مصنوعة من خشب مطعم بالعاج والأبنوس وفوق هذه الدكة دست من النحاس الأصفر مكفت بالفضة<sup>(٦)</sup> ، وكان بالفسطاط مسابك النحاس الأصفر وال فولاذ بأرض الحسينية خارج القاهرة<sup>(٧)</sup>

ومن المعادن أيضا صنعت العملة بأنواعها المختلفة وهي الدينار الذهبية والدرهم الفضية بجانب بعض النقود النحاسية والبرونزية<sup>(٨)</sup> .

(١) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص٢٢٦

(٢) حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٢٥٣

(٣) أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ص٢٨٣

(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص١٧٢

(٥) التكفيت : هو تطعيم التحفة بمعادن أعلى من المعدن المصنوعة منه ، وذلك بأن يحفر على سطحها أماكن تملأ بالذهب أو الفضة أو غيرها . عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ص١٤٩

(٦) راشد البراوي : حالة مصر ، ص١٧٤ ، عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص١٤٩

(٧) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص٤١٣

(٨) المقرئزي : شذور العقود في ذكر النقود الإسلامية ، ص١٣ ، الكريملبي : النقود ، ص٨٩

## التجارة

عندما دخل العرب والمسلمين مصر، عملوا على استغلال الوضع التجاري المزدهر فيها لصالحهم، فساروا على نفس السياسة السابقة لعهدهم، وهى سياسة حرية التجارة. وساعد موقع مصر الجغرافي منذ أقدم العصور على احتلالها مركزاً تجارياً مهماً، وكانت مصر خلال القرن الأول الهجري / السابع الميلادي مزدهرة تجارياً ويذكر أن الإسكندرية خلال هذه الفترة كانت ملتقى تجارة العالم كله، وتوافدت عليها أعداد غفيرة من التجار لشراء ما بها من بضائع<sup>(١)</sup>.

وقد زاد الاهتمام بالتجارة بصورة كبيرة خلال عصر الولاة من سنة ٢٠- ٢٥٤هـ/ ٦٤٠-٨٦٨ م، ويظهر ذلك بوضوح في الاهتمام الذي نتج عنه إعادة حفر قناة أمير المؤمنين التي كانت تصل البحر الأحمر بالنيل<sup>(٢)</sup>، وبلغت التجارة أوجها في عصر الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ) إذ اهتم أحمد بن طولون بالتجارة اهتماماً كبيراً، وجعل مصر مركزاً للتجارة العالمية في عهده، ويؤكد ذلك قول الرحالة ابن خرداذبة عن التجارة في أواخر القرن الثالث الهجري، فقد تحدث عن التجار اليهود الراذنية الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفريقية والأندلسية والصقلية، وذكر: "أنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً،..."<sup>(٣)</sup>.

وفى عصر الدولة الإخشيدية وفد إلى مصر مجموعات أخرى من التجار اليهود من سوريا، فقاموا بدور هام في تجارة المرور بين مصر والشرق، هذا بجانب جالية كبيرة من الفرس<sup>(٤)</sup>.

(١) هويدا رمضان: المجتمع، ص ١٩٥.

(٢) المقرئى: الخطط، ج ١ ص ٧١، سيده كاشف: عصر الولاة، ص ١٧٥.

(٣) ابن خرداذبة: المسالك، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٤) سيده كاشف: عصر الإخشيديين، ص ٢٧٩.

وكان من أشهر تجار مصر خلال العصر الطولوني التاجر محمد الجوهري صديق ابن طولون ، والذي كان له وكلاء كثيرون في أسواق الشرق كلها<sup>(١)</sup> ، ومن أشهر التجار في الدولة الإخشيدية أبو بكر محمد بن علي الماذرائي ت سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م ، والتاجر اليهودي "يعقوب بن كلس" الذي قدم من سوريا سنة ٣٢١هـ/٩٣٢م ، وأقام بالفسطاط واشتغل بتجارة الشرق<sup>(٢)</sup> .

ومن التجار "عفان بن سليمان بن أيوب أبو الحسن" الذي أقام بمصر ، وأوقف بها أوقافاً كثيرة على أهل الحديث وعلى سلالة العشرة المبشرون بالجنة رضى الله عنهم ، وكان بزازاً ، ولما توفى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م استطاع الإخشيد أن يأخذ من ماله نحو مائة ألف دينار<sup>(٣)</sup> .

وخلال العصر الفاطمي ازداد النشاط التجاري في الفسطاط والقاهرة حيث يقيم بها الأعيان وأصحاب الإقطاعات ، ويكثر توافد الناس ، وكانت الفسطاط من أهم مراكز مصر التجارية لموقعها على النيل وتوسطها بين الوجهين القبلي والبحري<sup>(٤)</sup> .

هذا بجانب المراكز التجارية الأخرى مثل مدينة دمياط التي تميزت عن غيرها من المدن بازدهار التجارة ، وأصبحت الميناء الوحيد لمصر في الجزء الشرقي من البحر المتوسط ، وكذلك مدينة قوص كانت من مراكز التجارة الداخلية فقامت بها الأسواق الكبيرة لوقوعها عند نهاية طريق القوافل بين البحر الأحمر والنيل ، وكان للأسواق شأن كبير في التجارة الداخلية<sup>(٥)</sup> .

(١) هويدا رمضان: المجتمع ، ص ١٩٦ .

(٢) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص ٢٨٠ .

(٣) ابن سعيد: المغرب، ص ١٧، الكندي: الولاة والقضاة ، ص ٥٤٣ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٥٨ .

(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٠ .

وبالنسبة للتجارة الخارجية كانت مدينة الإسكندرية أهم ثغور مصر الإسلامية مما جعلها سوقاً تجارية مهمة وحلقة الاتصال بين طرق التجارة العالمية ، ويصفها المقدسي بأنها "قصة نفيسة على بحر الروم"<sup>(١)</sup> ، ويذكرها الإدريسي بقوله: "وهي بلدة كثيرة العمارة رائجة التجارة وأسواقها كثيرة الاتساع"<sup>(٢)</sup> ، وقال عنها القلقشندي: "وإليها تهوى ركائب التجار في البر والبحر وتتمير . تأخذ . من قماشها جميع أقطار الأرض"<sup>(٣)</sup> ، وكانت محطاً للأساطيل التجارية القادمة من بلاد المغرب والأندلس وجنوب أوروبا<sup>(٤)</sup> ، هذا بجانب مدينة تنيس ، التي كانت مركزاً هاماً من مراكز التجارة في مصر<sup>(٥)</sup> ، والفوما التي كانت من المراكز التجارية الداخلية الهامة وكانت تستقبل تجارة سورية وسائر أقاليم شرق البحر المتوسط<sup>(٦)</sup> .

### الطرق البرية :

#### ١- الجسور والمعديات:

كانت هناك العديد من الجسور بجانب دورها الأساسي في تسهيل عملية النقل والحفاظ على البلاد من الفيضانات ، كانت تستعمل كطرق للتجارة الداخلية بين القرى والمدن<sup>(٧)</sup> ، هذا بجانب العديد من الطرق البرية الأخرى منها : الطريق البري الذي يصل بين الفسطاط والقاهرة وأسوان ماراً بقوص وعيذاب ومنها تنقل التجارة بواسطة المراكب النيلية عبر نهر النيل<sup>(٨)</sup> .

(١) المقدسي: حسن التقاسيم ، ص ١٩٦ .

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص ٣١٩ .

(٣) القلقشندي: صبح ، ج ٣ ص ٤٧٢ .

(٤) سالم: تخطيط مدينة الإسكندرية ، ص ٧٧، ٧٨ .

(٥) ناصر خسرو :سفرنامه ، ص ٦٠ .

(٦) أمينة الشوربجي: رؤية الرحالة ، ص ٣٢٥ .

(٧) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٢٨٤ .

(٨) المقرئبي : الخطط ، ج ٢ ص ٨٧ ، ٨٩ .

الطريق البرى الذي يربط بين القاهرة والإسكندرية مارا بمدينة وردان . إحدى مدن الجيزة . وترنوط وكوم شريك ، والدلنجات ، ودمنهور ، ومدينة سلطيس والكريون ومنها إلى الإسكندرية ، وهذا الطريق كان على الجانب الغربى لفرع رشيد<sup>(١)</sup> .

وكان هناك طريق برى يربط بين الفسطاط ومدينة الإسكندرية مارا بمدينة ذات السلاسل ، وترنوط ، وكوم شريك ثم الكريون ثم إلى الإسكندرية ، وكانت المسافة بين الفسطاط والإسكندرية تستغرق حوالي ستة أيام<sup>(٢)</sup> .

أما المعديات فكانت تقام عند المدن التجارية الكبرى مثل الفسطاط والروضة وبين الروضة والجيزة ، وكان الجسر عبارة عن مراكب مصطفة بعضها بجوار بعض وموثقة بالأخشاب<sup>(٣)</sup> .

وكانت هناك العديد من الطرق البرية الدولية التي تربط بين مصر والمدن الأخرى

منها :

- الطريق البرى بين القلزم ومكة يمر بالطور إلى الحجاز .
- الطريق البرى بين مصر والشام والعراق ، ويبدأ من الفسطاط مارا بفاقوس والفرما والعريش ورفح وغزة ؛ أما الطريق إلى دمشق فيبدأ من الفسطاط ويمر ببليبس ثم إلى الفرما فالرملة ومنها إلى طبرية وينتهي في دمشق<sup>(٤)</sup> .
- الطريق البرى الذي يربط بين الإسكندرية وثور الشام وبيروت وصور وصيدا ويرتبط بالطريق البرى حتى جزيرة فيلكه إلى إيران والهند والصين<sup>(٥)</sup> .
- الطريق البرى الذي يربط الفسطاط وبلاد المغرب مارا بالإسكندرية<sup>(٦)</sup> .

(١) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٧٣ ، ٢٦٧

(٢) الأدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٣٦٦

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ١٦٥ ، ١٦٦

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ص ٢٢٧

(٥) ابتسام مرعى : علاقة الخلافة الموحدية بالمشرق ، ص ٢٨٠

(٦) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١١٦

## الطرق النهرية والمائية:

- الخلجان والقنوات والترع وكانت تستخدم كوسيلة لنقل البضائع بواسطة النهرية ، مثل خليج الإسكندرية ، حيث كان يربط الإسكندرية وباقي مدن مصر<sup>(١)</sup>.
- الطريق المائي بين القلزم والإسكندرية ، حيث كانت القوافل التجارية تسير في خليج أمير المؤمنين . ثم تصل إلى الإسكندرية<sup>(٢)</sup> ، وكانت نهاية هذا الخليج على يد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي أمر عامله على مصر بدم الخليج سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢م أثناء ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز ، فانقطع اتصال البحر الأحمر بالنيل منذ ذلك الوقت<sup>(٣)</sup>.
- خليج دمياط الذي كان يربط بين الفسطاط وتينيس<sup>(٤)</sup>.

## ومن الطرق المائية التي كانت تربط مصر بالعالم الخارجي الآتي :

- الطريق البحري من غرب أوروبا إلى المشرق حيث كانت السفن تأتي من بلاد الغال وترسو في الفرما ، ثم تحمل تجارتهم على الدواب إلى القلزم ، وتنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانيه مثل جدة ، ثم تتجه إلى الهند والصين والعكس<sup>(٥)</sup>.
- الطريق البحري بين القسطنطينية والإسكندرية<sup>(٦)</sup>.
- الطريق البحري بين مصر وبلاد المغرب العربي ، وكان يبدأ من الإسكندرية مارا بالسلوم وطبرق وطرابلس ، وسوسة وصفاقص ، والمهدية ، وكان ينتهي بمراكش ، ويبدأ أحيانا من دمياط ورشيد<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ، ص ٤٠ ، المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٧٣

(٢) المقرئزي : الخطط ، ج ٢ ص ١٤٣

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٦٤

(٤) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٥٤

(٥) هايد : تاريخ التجارة ، ج ٢ ص ٤٠١

(٦) هايد : تاريخ التجارة ، ج ١ ص ١٣٩

(٧) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١١٠

- الطريق البحري الذي يربط بين الإسكندرية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية وقبرص واقريطش وكريت ، وكان يستغرق عشرين يوما .

هذه الشبكة من الطرق البرية والنهرية والبحرية نالت اهتمام الخلفاء والولاة من خلال الحصون ، والمحارس ، وحفر الآبار ووضع العلامات الدالة على المسافة على هذه الطرق ، فسهلت التجارة الداخلية والخارجية .

وكانت هناك الكثير من المنشآت التجارية التي شجعت التجارة الداخلية يأتي في مقدمتها الأسواق ، حيث كانت أهم مراكز تسويق المنتجات الصناعية داخليا ، وكثرت هذه الأسواق في المدن التجارية الهامة مثل الفسطاط ، والإسكندرية والقاهرة ، وأسوان ، وقفت ، وعيذاب بجانب منتجات أسواق المدن الأخرى ، فقد كانت توجد سوق واحدة في كل مدينة وإن لم يكن في كل قرية<sup>(١)</sup> .

وكانت الأسواق والمصانع في جميع مدن العالم الإسلامي تقع غالبا بالقرب من منطقة الجامع الكبير بالمدينة<sup>(٢)</sup> ، وكانت هناك أيام معينة يقام فيها سوق لكل مدينة<sup>(٣)</sup> ، فعلى سبيل المثال كان بشبرا الخيمة سوق جامع يوم الثلاثاء<sup>(٤)</sup> ، وكان للجيزة سوق يوم الأحد<sup>(٥)</sup> .

ومن أشهر هذه الأسواق أسواق القاهرة والفسطاط ، وأسواق مدينة القطائع . وكان بها لكل من الباعة سوقها الخاص وكان لكل صنف من جميع الصنائع سوق<sup>(٦)</sup> ، وكذلك أسواق المدن مثل سوق أتريب التي اشتهرت بالعسل الذي كان يجلب من بنها<sup>(٧)</sup> وأسواق

(١) سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٢٨٠  
(٢) حسن عبد الوهاب : وراثة من الحضارة الإسلامية ، ف ٢ ص ٣١  
(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥  
(٤) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ص ٤٧  
(٥) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٥  
(٦) البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٥٣  
(٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٣٧

منوف ، وطنطا وسخا التي حفلت أسواقها بالكتان وزيت الفجل<sup>(١)</sup> ، وترنوط التي اشتهرت بإنتاج السكر وبيعه<sup>(٢)</sup> .

وكانت أسواق الأشمونيين وأخميم وأهناس وبوصير تعرض منتجات الحرير والكتان<sup>(٣)</sup> ، وقد اشتهرت أسواق الصعيد بالقفاف والحبال من الليف في غاية الجودة والصوف ، والحصربجانب المصنوعات الجلدية التي كانت تسوق في مدنها<sup>(٤)</sup> ، كما اشتهرت بأسواقها العامرة<sup>(٥)</sup> ، وكذلك قوص واسنا وقفط وأسوان التي تميزت بنشاط حركة البيع طوال أيام السنة باعتبارها أهم ثغور مصر على البلاد الجنوبية<sup>(٦)</sup> .

وبجانب الأسواق كانت هناك القيساريات التي كانت تختص بالتجار بأنواع معينة من البضائع ، فعلي سبيل المثال قيسارية هشام بن عبد الملك التي كان يباع فيها البز الفسطاطي ، وقيسارية عبد العزيز بن مروان ، وتخصصت في بيع البز أيضا<sup>(٧)</sup> ، وقيسارية البز التي أنشأها الإخشيد في سوق الحمام<sup>(٨)</sup> .

وكان بالقياسر أماكن خاصة لمبيت التجار والصناع ، كما كان بها أماكن للصناع لمزاولة أعمالهم ، كما كان لهم مقرا للوكلاء والصارفة بل كافة المعاملات المالية والتجارية ، وكان في بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين<sup>(٩)</sup> .

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٢

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٣١ ، الاضطخري : مسالك الممالك ، ص ٥٣

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣١

(٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣٥ ، ٥٩

(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣٦ ، ١٣٧

(٨) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٥٦٢

(٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣١

## أما عن الصادرات والواردات :

فكانت مصر تصدر القمح والحبوب إلى الحجاز<sup>(١)</sup> ، وإلى صور وعسقلان حيث كان يصدر إليها ما مقداره مائة وعشرون إردب من الغلال<sup>(٢)</sup> ، كما كانت تصدر الورق البردي ، والزجاج ، بجانب تجارة بلاد النوبة وأثيوبيا المتمثلة في البهار والفضة والجواهر وغيرها<sup>(٣)</sup> ، أيضا جوز الطيب والقرنفل والفلفل والشب والنطرون إلى بلاد الروم<sup>(٤)</sup> ، هذا بجانب المنتجات الخزفية التي كانت تصدر من مصر لبلاد المغرب<sup>(٥)</sup> ، بجانب الكتان والأقمشة المختلفة<sup>(٦)</sup>.

## الواردات :

كانت مصر تستورد العديد من منتجات البلاد الأخرى ، فمن الجزيرة العربية كانت تستورد الخيول العربية والجمال والخشب القسي<sup>(٧)</sup> ، والجلود المدبوعة ، والدروع والعقاقير والكرم الذي كان يستخدم في الأدوية ، ومن أشجار عمان كانت مصر تستقبل أجود أنواع العنبر واللبان والبخور والمستكه<sup>(٨)</sup> .  
ومن بلاد الشام كان يرد أسواق مصر الكثير من الفاكهة كالتفاح والبرتقال بجانب الأخشاب اللازمة لبناء السفن والمراكب والأثاث<sup>(٩)</sup> ، أما بلاد المغرب العربي فكان يرد منها زيت الزيتون وبعض الفاكهة والأصواف والعسل والقطران ، والبعال والجلود<sup>(١٠)</sup> ،

(١) سيده كاشف : عصر الولاة ، ص ١٧٩

(٢) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٤٦٥

(٣) سيده كاشف : أحمد بن طولون ، ص ٢٠٥

(٤) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٦١١ ، ٦١٥

(٥) القلقشندي : صبح ، ج ٣ ص ٢٤٧ ، المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ١٦٣

(٦) صابر دياب : دراسات إسلامية ، ص ٨٧ ، البراوي : حالة مصر ، ص ٢٦٢

(٧) كان القسي يتخذ من القانة ، وجمعها القان وهو شجر جبلي ينبت بشبة الجزيرة العربية ، عطية القوصى :

تجارة البحر الأحمر ، هامش ص ٢٠٧ .

(٨) عطية القوصى : تجارة البحر الأحمر ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٩) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٨

(١٠) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ٢٠٧

وكانت مصر تستورد من الصين البهار والقرفة والزنجبيل والكافور الذي كان سعره في أسواق مصر مرتفعاً<sup>(١)</sup> ، هذا بالإضافة إلى الورق "الكاغد" والحبر "المداد" والسروج واللباد والذهب والفضة والسجاد والحلي وبعض العقاقير والجواري<sup>(٢)</sup>.

ومن الهند كانت تأتي أسواق مصر الياقوت والصندل والعود والفلفل ، وجوز الهند ، والزعفران والقرفة ، وخشب الأبنوس ، والأحجار الكريمة<sup>(٣)</sup> .

ومن المدن الإيطالية كانت مصر تستورد الأخشاب والمواد اللازمة لبناء السفن ، والحديد والنحاس ، والجبين الرومي ، والفراء والرقيق الأبيض<sup>(٤)</sup> .

وكان يرد مصر من بلاد النوبة الرقيق وذلك بموجب معاهدة البقط التي عقدت بين الطرفين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح<sup>(٥)</sup> ، هذا ولم تكن كل الحاصلات والمنتجات الآتية مصر من البلاد الأخرى تستهلك في أسواق مصر محلياً فحسب ، بل كان الكثير منها يحتفظ به التجار المصريون لديهم حين ورود سفن تجار الفرنج وتجار الروم ويبيعون لهم بأسعار عالية ، حيث كان معظم تجار مصر يقومون بدور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب .

(١) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٢٥٧

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ص ٣٦٥ ، عطية القوصي : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥ ص ١٣٢

(٣) هايد : تاريخ التجارة ، ج ٢ ص ٣١٢

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٠٠ ، ١٠١

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٢ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٠